فيلم سفير جهنم

تأليف وإخراج وتمثيل يوسف بك وهبي

القصة

تدور حول مدرس يحيا مع زوجه وأبنائه حياة شقية كلها قاقة وعوز ، قاده الشيطان بوسائله إلى حياة لم يألفها من قبل ، وغدا ذلك المدرس من هؤلاء المترفين بفضل الشيطان الذي عرف كيف يسيطر عليه ويوجهه كيفما يريد ... ثم تنتهي حياته بفقده زوجه ، وجنون ابنته ، وسجن ابنه ، وأخيراً يستيقظ المدرس من نومه فيحمد الله على أنه كان في حلم ، وينادي أبناءه وزوجه ليقص عليهم رؤياه : فإذا بهم كانوا مستغرقين في نفس الحلم

هذا هو ملخص القصة (سفير جهنم) . ويظهر أن الشيطان لعب دوراً خطيراً حتى استطاع أن يخدع يوسف بك ويجعله يخرج قصة مفككة كهذه ليس لها فكرة تهدف إليها . ولا وحدة تسير عليها لتكون فيلماً ! !

الإخراج

اعتمد الأستاذ يوسف بك في إخراجه على تهاويل ومفارقات . فحشد المناظر حشداً ، وجمع الصور جمعاً في فوضى عجيبة تشهد أن الشيطان وحده هو الذي أوحى إليه هذه التهاويل والمفارقات .

لست أدري كيف أخرج يوسف بك قصة فيلمه على أنها حلم مع أن المدرس في ذلك أكثر من مرة وفي مواقف متعددة ، ولا أدري أي شيطان هذا الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، يعرف الغيب ، ويعيد إلى عجوز شطاء صباها ، ثم يعيد إلى كهل شبابه ، ثم هو بعد ذلك أو قبل ذلك يعظ الناس في مكارم الأخلاق ، ويتحدث بالفرنسية حيناً وبغير الفرنسية حيناً آخر ...

الصنع لن تنسى ما أداه فيودور لوكيتش من الخدمات !... »

وساد الصمت . ورفع سيسوييف بصره إلى وجه الألماني المتورد الذي عاد يقول : « إننا نعرف كيف نقدر مجهوداته . والجواب على كلماتكم هو أن أخبركم أن مبلغاً من المال قد وضع في الصرف في الشهر الماضي من أجل عائلة فيودور لوكيتش » . فنظر سيسوييف متفهماً إلى الألماني وإلى زملائه كأنه غير قادر أن يفهم لماذا وضع المبلغ لعائلته وليس له هو . وفي لحظة واحدة استطاع أن يرى جميع الوجوه المنحدرة إليه ، وفي العيون الثبتة نحوه ، لا إحساس العطف ولا الشفقة التي لم يكن يحتملها ، بل شيئاً آخر عطوفاً رقيقاً ، ولكنه في الوقت ذاته مشئوم مخيف كأنه حقيقة واقعة . شيء سري كالقشعريرة في جسده وملأ قلبه بيأس دفين ، فقام فجأة بوجه ممتقع وضرب رأسه بيديه ، وظل هكذا ربع دقيقة وهو يحدق في نقطة أمامه ، كأنه يرى الموت الذي تحدث عنه برونى ... ثم جلس ثانية والدموع تنهمر من عينيه . وسمع من حوله أصواتاً فزعة تقول : « ماذا ؟ ماذا ؟ ماء اشرب شيئاً من الماء ! »

ومرت لحظة قصيرة هدأ خلالها الرجل ، ولكن المجتمعين لم يعودوا إلى مزاحهم الأول . وانتهى الغداء في صمت كئيب ، وفي وقت أسرع من كل المرات السابقة .

وحين عاد سيسوييف إلى المنزل ذهب تواً إلى المرآة ثم قال في نفسه وهو ينظر إلى خديه المترهلين وعينيه اللتين يحيط بهما هالة سوداء « حقاً . لم يكن بمايدعوني أن أبكي كل هذا البكاء ! إن وجهي اليوم خير منه بالأمس . وإن ما أعانيه هو الانيميا والزكام الناشيء من المعدة . وسعالي ناشيء من المعدة » . وخلع ملابسه وقد عاد إليه اطمئنانه وقضى وقتاً طويلا ينظف بالفرشاة بذلته الجديدة السوداء ثم طبقها بعناية ووضعها في مكانها . ثم ذهب إلى المكتب حيث تراكمت كراسات التلاميذ فأخرج من بينها كراسة باكين وجعل يتأمل في جمال خطه ...

وفي الوقت ذاته — بينما كان هو يفحص كراسات التلاميذ — كان طبيب المنطقة يجلس في الغرفة المجاورة ويهمس في أذن زوجته أنه لم يكن يجوز أن تبيح الذهاب إلى حفلة غداء لرجل لا يحتمل أن يعيش أكثر من أسبوع .

محمد قطب